الباب الثاني

الشهادتان

obeikandl.com

obeikandl.com

- **مقدمة وتعريف :**

الشهادتان هما شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

وهما أساس الإسلام الذى تقوم عليه العبادات الأخرى، من صلاة وزكاة وصيام وحج، وبدونهما لا تصح العبادات المذكورة.

وهما لا تنفصلان عن بعضهما، فجعل الله تعالى أساس الإسلام ومظهره وجوهره مبنيا عليهما، وجعلهما الله إعلانا عاليا للإسلام فى وقت كل صلاة بالأذان و الإقامة، ولا يكون الرجل مسلمًا إلا إذا شهد بهما .

وكلمة " أشهد " لها مغزى خفى عميق، فالشهادة والشهود والإشهاد معناه فى اللغة العربية (رؤية العين)، فالشاهد من رأى بعينه وثبتت الرؤية بعقله وقلبه، ورؤيا العين هى أعلى درجات اليقين، لذلك تسمى (عين اليقين)، فهى لا تقبل شَكًا ولا نِقاشًا ولا جدلاً ولا حتى مجرد ظن، لذلك فإن من ينطق بالشهادتين بعد أن رأى حقًّا بالبصر والبصيرة والتفكر والتدبر فى ملكوت السماوات والأرض ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فقد صدق وكان مع الذين يقول اللّه عنهم فى سورة آل عمران-١٨:

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ... ﴾

أما من قالها ونطق بها دون أن تجاوز لسانه، ولم يشهد أويشاهد أو يرى من معناها شيئا، فإنه ولا شك يكون "شاهد زور"، وحسابه على الله، وشهادة الزور أقرب الأعمال إلى الكفر، لذلك يقول تعالى:

﴿ ... فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ... ﴾ (الحج -٣٠و٣١)

صحيح أنَّ من نطق بالشهادتين بلسانه وجب علينا أن نعدَّهُ من المسلمين، لأننا أُمرنا أن نحكم على الناس بالظاهر، ولقد كان فى عهد الرسول منافقون يشهدون بألسنتهم ولا يؤمنون بقلوبهم، ولقد خاطب الله سبحانه وتعالى رسوله بقوله فى سورة التوبة:﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ وذلك رغم نطقهم بالشهادتين، فالشهادة بالقلب هى الأهم والأعظم من شهادة اللسان.

- **المعنى المقصود من الإسلام:**

من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت إن استطاع إليه سبيلا، فهو مسلم بنص الحديث المعروف : (بنى الإسلام على خمس ... الخ)، وهذا هو مظهر الإسلام الذى يتعارف به المسلمون فيما بينهم.

و المتأمل فى كتاب الله الكريم يجد للإسلام معانى أخرى، فيقول الله تعالى فى سورة الأنعام : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ ويقول جل شأنه فى سورة فصلت-٣٣ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ ونرى من هاتين الآيتين أن الله سبحانه وتعالى قد أطلق " لفظ

المسلم" على من وجَّهَ وجهه ووجهته إلى الله تعالى، على من سلم كل أموره إلى الله، على كل من جعل صلاته، أى كل دعائه ورجائه وندائه وكل عبادته، بل جعل حياته كلها ومماته أيضًا لوجه الله الكريم، لا يريد سواه، ولا يخاف إلا منه، ولا يرجو غيره.

فالإسلام هو التسليم لله فى كل الأمور، والرضا عنه فى كل الأحوال، والشكر له، والاعتماد وصدق التوكل عليه دائمًا. فيقول تعالى فى سورة النساء-١٢٥ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾

لذلك أطلق الله وصف المسلمين على جميع الأنبياء السابقين ومن آمن بهم فى عصرهم، إذ يقول سبحانه فى سورة البقرة : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾حتى أتم الله الدين وأكمله بمحمد ﷺ، وجعل كل من يبتغى غير الإسلام دينا فلن يقبل منه، حيث صحح الرسول ﷺ العقائد السابقة التى تبدلت وتغيرت، سواء من طول العهد بها، أو بقصد التغيير لاتباع الأغراض الشخصية والاكتساب منها، حتى تغيرت أغلب الملامح الصحيحة

للأديان السابقة، فكانت رسالة الإسلام هى التصحيح لما سبق، وكذلك استكمال التشريع بالدين الحنيف، وبهذا يقول تعالى فى سورة (المائدة-٣) : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ... ﴾

ومما سبق نستطيع القول بأن الإسلام هو مظهر الإيمان من أفعال وأقوال، ولكن يلاحظ أن هذه الأفعال والأقوال ليست لها عند الله ميزان واحد للعقاب والثواب، فالله سبحانه وتعالى قد لا يقبل هذه الأعمال،حيث يقول فى المائدة-٢٧: ﴿ ... قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ ، وقد يجزى الحسنة بمثلها، وقد يجزى الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وقد يضاعفها ويزيد عن هذا المقدار بغير حساب ولا عدد، وذلك بنص الآيات القرآنية المعروفة فى هذا الصدد، ذلك لأن الجزاء والعقاب لا يقاس بالفعل فقط ولكن بالدافع الحقيقي لهذا الفعل، والإخلاص للّه فيه حيث يأتى هنا دور (الإيمان).

فالإيمان هو التربة التى تزرع فيها الأعمال، وعلى قدر ما تكون التربة صالحة نقية طاهرة خالصة، على قدر ما يكون نماء الزرع فيها ومقدار ثمره.

فإن كان الإسلام هو الظاهر فان الإيمان هو الباطن، أى الجوهر الحقيقى للدين، لذلك لم يخاطب الله الذين يعملون الصالحات فقط، بل دائمًا قرن الإيمان بالعمل الصالح، فيقول فى سورة يونس :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ ويقول فى سورة الكهف-١٠٧: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ .... ﴾ ويقول فى سورة النساء-١٢٤ :﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ...﴾ وعلى قدر درجة الإيمان يكون الثواب لنفس الأعمال قلة وكثرة.

فالإسلام الحقيقي هو المظهر النابع من الجوهر الحقيقي للدين وهو الإيمان، فلا غنى للمسلم الحق عن الإيمان والإسلام معًا.

وفى الحقيقة لا يوجد فصلٌ وحدٌّ بين الإسلام والإيمان، فكلاهما مرتبطٌ بالآخر، فقول رسولنا ﷺ : " إنَّ الإيمان بضعٌ وستون شعبة. فأفضلها قول لا إله إلا الله. وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. والحياء شعبة من الإيمان"(١)، يدل على أن ثمرة الإيمان أفعالٌ وأعمال ظاهرة، وكذلك قوله ﷺ : "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله ؟ قال : من لم يأمن جاره بوائقه"(٢).

وقول الله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ

---

(١) رواه الخمسة عن أبي هريرة رضى الله عنه.

(٢) متفق عليه من حديث أبي شريح رضى الله عنه.

أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾يدل على إسلام الوجه لله تعالى، يعنى الايمان به، وهو عمل من أعمال القلب.

أما الإحسان فهو المقام الأول والأعلى للمسلم الحق، فهو الثمرة النهائية للإيمان والإسلام، فهو مقام المراقبة لله سبحانه وتعالى، ومقام الشهود لعظمته وملكوته، كما قال ﷺ : " **الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك** "[1].

- **المعنى المقصود من لا إله الا الله :**

الإله هو العظيم الأعظم، الكبير الأكبر، صاحب الفضل على عباده والقوة عليهم، مالك رقاب العالمين، المهيمن على القلوب والأرواح ؛ وله الحكم فى كل شئ، وهو القادر على كل شئ، وهو قاهر كل شئ، وبيده مقاليد السموات والأرض.

فالله سبحانه وتعالى صاحب القوة والقهر والجبروت ، فالعباد أولى بالخوف منه، لذلك يقول :﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ... ﴾ (الأنعام-٦١)، ويقول : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الأنبياء- ٢٣)، ويقول فى سورة (يس-٨٢) :﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾، وهو سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم، اللطيف الودود، فهو أولى بالحب والشكر والثناء عليه، ويقول سبحانه :﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا

---

(١) رواه البخارى ومسلم وبن ماجة عن أبى هريرة رضى الله عنه

ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ (الحجر-٤٩)، ويقول :﴿ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾ (الأعراف-١٥٦)

وهو سبحانه العزيز، يعز من يشاء، فمن كان يريد العزة فلله العِزَّةُ جميعًا، وهو الرازق الشافى القيوم القائم بتدبير الأمور كلها لعباده وخلقه أجمعين فبه العون والاستعانة، ومنه القوة والعزة، والله سبحانه من رحمته بعباده تعرَّفَ إليهم، فعرّفهم نفسه وصفاته، وتقرب اليهم بالنعم والخيرات مرة ، ليشكروه، وبالشدة والبلاء مرة ، ليذكروه ويستعينوا به.

فغاية الأمر ونهايته أن يذكر العبد ربه فى كل وقت وتحت كل ظرف بما يناسب وقته من أسمائه وصفاته تعالى، فالحمد والشكر للمنعم، والرجاء والأمل فى اللطيف الودود الرحيم الرحمن .. والهيبة والخوف من الجبار المتكبر القهّار جلّ شأنه، وللمذنب الغفّار الستّار الحليم الغفور .. ولطالب التوبة التوّابُ المنّان .. وهكذا لكل حالة من حالات العبد، وكل صفة من صفات المولى جل وعلا .. إلى آخر الصفات المذكورة فى القرآن الكريم.

وقال الله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ..﴾(الأعراف-١٨٠)، وقال سبحانه :﴿ ... ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (الأحزاب-٤١و٤٢)

فأسماء الله تعالى هى الدالة على صفاته التى يعامل بها خلقه ؛ فمن شهد ألا إله الا الله فإنه يشهد ألا إله إلا الله القوى فلا يخاف

سواه. الله الرزاق فلا يسأل غيره. وهو الغنى وما سواه فقير إليه، وهو الكريم الوهّاب الذى لا يَرُدُّ من طلب منه و لا تنفد خزائنه. و قال سبحانه : ﴿.... ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾(غافر-٦٠)

فالذى يشهد بوحدانية الله سبحانه لابد وأن يعلم بوحدانية هذه الصفات له وحده بالكيفية التى تليق بجلاله وحده بعيدًا عن التشبيه والتمثيل،فإنَّه جل شأنه ﴿ ... لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ (الشورى-١١)

وصفات الله سبحانه وتعالى قسمان : قسم للتخلق بها، فعلى المسلم أن يتخلق ببعض صفاته، فالله هو الكريم، ويحب الكريم، وهو الرحيم، ويحب الرحيم، وهو المحسن، ويحب المحسنين، وهو العفو ويحب العفو، والعافين عن الناس، وقسم للتعلق، أى لحُبِّها فقط، ولا يجوز أن يتصف المسلم بها، فالله سبحانه وتعالى هو المتكبر، ولا يحب المتكبرين، وهو القاهر فوق عباده، ولا يحب من يقهرهم بجبروته، وهو المتجبر، ولا يحب المتجبرين ... إلخ.

وفى حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه "إن لله تعالى مائة خُلُق وسبعة عشر خُلُقًا من أتى بخُلُقٍ منها دخل الجنة"[1]، يأمرنا رسول الله ﷺ أن نتخلق بأخلاق الله وأن نتصف بصفاته والمقصود طبعا

---

(١) رواه أبو يعلى في المسند الكبير ورواه البزار وأبو يعلى والبيهقى فى شعب الإيمان عن عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه وفي إسناده عبد اللَّه بن راشد وهو ضعيف.

صفات التخلق، فالله يصف رسوله ﷺ بأنه بالمؤمنين رءوف رحيم، ويقول ﷺ: " الراحمون يرحمهم الرحمن "[1]. ولا يتسع المجال للإسهاب، وسوف نفصلها في الجزء الثاني إن شاء الله.

وموجز القول أن معنى شهاده ألا إله إلا الله هو الإيمان واليقين بأنه وحده لا شريك له في تدبير الكون، وأنه لا يستحق العبادة سواه، لفضله العظيم ونعمه ولطفه وإحسانه، ولقوته وقهره وجبروته، وأن يجعل العبد ربه هو المقصود بالعبادة وبحياته كلها، فلا يكون له مقصودٌ إلا رضاء الله، وأن يخلص في سره وعلانيته وفعله وقوله وظنه.

فمن شهد بالوحدانية والقدرة والعظمة لله كان حقًا عليه أن يطيع الله فيما أمر، وأن يبتعد عما نهى عنه، فإن عصاه فليستغفر ولا يقنط من رحمته، وإن أطاعه فليحمدهُ على توفيقه، فإن الهدى هدى الله يهدى به من يشاء من عباده، ثم بعد ذلك فليطمئن قلبه بالله تعالى ويسلم أموره إليه، ويحسن توكله عليه سبحانه وتعالى.

وبالإجمال فإن من شهد ألا إله إلا الله كان حقًا عليه أن يشهد بصفاته وأسمائه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر والعقاب والثواب والقدر خيره وشره، إما شهادة عين وإما شهادة قلب .. وهو الإيمان كما ذكر في الحديث الشريف.

وليست هناك كلمه أفضل عند الله من كلمة التوحيد، وقيل في

---

(١) رواه أبو داود و الترمذى وقال حديث حسن صحيح ورواه الحاكم في المستدرك بسند صحيح والحديث عن عبدِ اللّه بنِ عمرو.

معنى قوله تعالى فى سورة (فاطر-١٠): ﴿ .... إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ....﴾، أن الكلم الطيب هو قول لا إله إلا الله، فلا ترفعها الملائكة، ولكنها تصعد بذاتها، لعظمتها وكرامتها عند الله.

والرسول ﷺ يقول : "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا "[1]، وقيل : إن من قالها مرة واحدة فله ثواب بعدد كل من ينكرها من الكافرين، لأنه بمثابة من يرد عليهم دعواهم، لذلك كان الرسول ومن معه من خاصة الصحابة وأهل الصُفَّة يذكرون الله بها كثيرًا، فُرادى وجماعات.

- **المعنى المقصود من شهادة أن محمدًا رسول الله :**

الإيمان بأن محمدًا رسول الله هو اعتراف ضمنى بكل تعاليم الرسول، واتباع سنته والتزام أدابه.

والرسول ﷺ وإن كان من البشر، بل هو سيد البشر فإن الله قد اصطفاه وطهره، واختاره وعلمه وأدبه، وقال له :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (القلم-٤)

وإن كان الله تعالى قد اصطفى رسله من الخلق، فقال سبحانه

---

(١) روى الحاكم عن ربيعة بن عباد الدؤلي قال: رأيت رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - في الجاهلية بسوق ذي المجاز وهو يقول: "يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا اللَّه تفلحوا " أخرجه الحاكم فى المستدرك وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ورواه الطبرانى فى الكبير

فـى (آل عمـران – ٣٣) : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فإنّـه جلّ شأنه قد اصطفى محمدًا من الأصفياء، وأعلا شأنه فوق الأنبياء، وجعله إمامهم وقدوتهم فى الدنيا والأخرة، وافهم من قوله تعالى فى سورة النساء :﴿ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾، أنه لم ينل أحد من خلق اللـه كلهم أكبر من هذا الفضل وإلا كان فضله تعالى على محمد ﷺ ناقصًا وليس بعظيم .. فإن قال تعالى لموسى(طه–٣٩) : ﴿ .. وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ فقد قال لمحمد(الطور–٤٨) :﴿... فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾، وإن نبع الماء من الصخر لموسى عليه السلام، فقد نبع الماء من بين أصابع سيدنا محمد ﷺ فروى الجيش وسقاه .. وإن أحيا اللـه الموتى لعيسى، فقد كلمت الشاة المسمومة المطهية رسول اللـه ﷺ، وإن كلم سليمان الحيوان والطير فقد كلم محمدﷺ الجمل والضب والغزالة، وبكى جذع الشجرة لفراقه فى المسجد، ورد ﷺ عين سيدنا قتادة إلى مكانها بعد أن سالت على خده فكانت أحسن عينيه .. ونُصِرَ بالرعب مسيرة شهر، وسخر اللـه له الريح .. وآمنت به الجن .. وأُوتِىَ من الجمال فوق جمال يوسف، ولكنّه كُـلِّـلَ بالجلال فلم يُفْتَنْ أحدٌ به .. وأوتى من الحكمة فوق حكمة لقمان (الأحزاب–٣٤):﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ ثم كان القرآن العظيم أكبر آية وخير معجزة له ﷺ.

وقرن الله تعالى أسم رسوله باسمه فى الشهادتين تعظيمًا وتشريفًا لقدره العظيم، وقال فى (الأحزاب-٥٦): ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ و يقول الرسول : "من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرًا "[1] والله سبحانه وتعالى يقول:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران-٣١) ويقول:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب-٢١) ويقول : ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ ... ﴾ (الأحزاب-٦)، وقال ﷺ : "إنما أنا رحمة مهداة "[2].

فتعظيم الله لنبيه لا يخفى على أحد، وإكرامه له فى حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ويوم القيامة معروف بما تواترت به الاحاديث، وذكر فى القرآن الكريم.

والرسول ﷺ تعرض عليه أعمال أمته، فإن وجد خيرًا حمد الله، وإن وجد غير ذلك استغفر لهم الله، وهو المشفَّعُ فيهم يوم القيامة، تعظيمًا لقدره الرفيع.

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم والترمذى والنسائى والبزار وأحمد والحاكم وصححه السيوطى فى الجامع الصغير ، من حديث أبي هريرة وحديث عبد الرحمن ابن عوف.

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك وقال هذا حديث صحيح على شرطهما.

فمن عرف قدر الرسولﷺ وعظمته ورحمته ورأفته بالمؤمنين كان حقًا عليه أن يتبعه فى كل أمر وفعل وخلق وأدب له ﷺ .

ولا يحسبن مسلم أنه بصلاته على الرسول يرفعه ﷺ درجة، فإنه عليه الصلاة والسلام قد رفعه الله إلى أعلى الدرجات، وآتاه من الفضل ما لا مزيد عليه.

ولكن للصلاة عليه فائدة أجل وأعظم وأعمق معنى، ذلك أنها تعود على قائلها بالخير، فكأن المصلى على الرسول يطلب الرفعة والتشريف لنفسه أيضًا، وأكثر من هذا شرفًا وتعظيمًا أن يدخل المصلى على الرسول فى حضرة الله والملائكة الذين يصلون عليه، وأكرم بها من درجة رفيعة.

ويقول رسول الله ﷺ : " أَوَلى النَّاسِ بِي يَومَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاةً"[1] ، أو كما قال ﷺ.

والرسولﷺ هو المسلم الكامل، والعبد الخالص لله جل شأنه، فمن أراد أن يتعلم فليتعلم منه ومن أقواله وأفعاله وآدابه، ويجب على المسلم أن يعلمَ أن الأنبياء معصومون من الخطأ، والرسول ﷺ إمامهم وهو الأولى بالعصمة، وهو ما ينطق عن الهوى، لذلك يجب الاحتراس عند دراسة سيرته، فإذا وجد القارئ عملا أو قولا لم يستطع أن يفهمه فعليه أن يرُدَّهُ إلى ضيق أفقه هو، وقصوره عن فهم المعنى المقصود والحكمة الإلهية وراء ذلك.

---

(١) أخرجه البيهقى فى الشعب وبن عساكر عن أنس وروى الترمذى عن بن مسعود "أَوَلى النَّاسِ بِي يَومَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاةً". وقال حديث حسن غريب

وبقول المسلم أن محمدًا رسول الله، أصبح لزامًا عليه أن يدرس تعاليمه وتوجيهاته ليقتدى به.

ولقد قال ﷺ: "**لن يكمل إيمان أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه من نفسه التى بين جنبيه**"(١)، فحب الله ورسوله أولى من كل حب، والحب معناه الطاعة والتعلق والتشبه بمن يحب، فمن زعم أنَّه يحب الرسول دون أن يقتدى به فليس من الصواب فى شيئ.

وقد تجاوز حب صحابةرسول اللَّه ﷺ لرسولهم حد اتباعه فى العبادات إلى اقتفاء أثره فى العادات، وذلك من فرط حبهم له واتباعهم لسيرته ﷺ، فطوبى لهم، ثم طوبى لهم.

لذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام أن من ترك سنته فقد حرم شفاعته يوم القيامة.

فشهادة أن محمدًا رسول الله معناها التعظيم والحب له واتباعهُ فيما كان يفعل.

---

(١) رواه البخارى وأحمد وبن ماجة والبيهقى عن أنس بن مالك رضى اللَّه عنه ولفظ البخارى : ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون اللَّه ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا للَّه، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه اللَّه منه كما يكره أن يلقى في النار. وفى كنز العمال ذكر مارواه الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه ونصه: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه، وأهلي أحب إليه من أهله، وعترتي أحب إليه من عترته، وذريتي أحب إليه من ذريته

- **خاتمة :**

وبعد : فهذه كلمات موجزة لمعان تستحق أن نكتب فيها كتابًا كاملاً بإذن الله تعالى، ولكن عسى أن تكون قد ألقت بعض الضوء على المعنى المقصود من كلمة التوحيد.

لذلك يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أن من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل الجنة[1]، فالمقصود ان يقولها بحقِّها، ظاهرًا وباطنًا، مخلصًا لله تعالى، مسلمًا مؤمنًا، فإن نقص من هذه المعانى شيء فإسلام العبد يكون ناقصًا بنفس القدر.

نسأل الله أن يوفقنا لحسن الإسلام وكمال الإيمان وأنوار الإحسان.

---

(١) ورد فى كنز العمال الإصدار ١,٤٣ - للمتقي الهندي برقم ١٤٢- "اعلم أن من مات يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه دخل الجنة" فى كتب متعددة عن أنس وصححه.

obeikandl.com